نصوص

حائرٌ يا وعدُ

سعيد بدر حبيشي

العنوان : حائرٌ يا وعد

تأليف : الشاعر سعيد حبيشي

تاريخ موافقة وزارة الإعلام ٢٠٢١ رقم ١٥٢٣٥

تاريخ موافقة اتحاد الكتّاب العرب ٢٠٢١ رقم ٧٨١

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

الإهداء

كالنورِ تنبثقُ المعاني وتصدحُ كناي رقيق كتبتها بحبر قلبي لا بحبر قلمي ، حتّى يمتلأ الكون من مشاعري، وتتحوّل كلّ المعاني التي تخلدُ في نفسي إلى صورة جميلة تشبهكِ وتشبه الحسن الممشوق المرسوم فيكِ .

سعيد بدر حبيشي

حائرٌ يا وعدُ

لم يكنْ بوسع حالمٍ مثلي
أن يحملَ اسمه بيده
وماءُ أحزانه محا أبجدية تاريخه
والميلاد

لم يكنْ لثوبٍ رثٍّ أعلاه ممزقٌ
والأسفل يلملمُ على استحياءٍ أزراره
أن يسير بخطاً أنيقةٍ
أو يحملَ وردةً
أو يرتدي ثوباً
يسبقه ولا يفضحه

حائرٌ يا وعدُ
حتى الحلمُ يهزأُ بي

كلّما تقدّمتُ نحو الشّمس

شيء ما يدفعني باحتقار وازدراء

لقد غلّقتِ الأبوابُ

لا أدري . .

وكيف لي أن أدري

أيطربون على لحن بكائي

أم يضحكون على قميصي

وحذائي ؟!

شوكةٌ في قلبي تسري

وداءٌ خفيٌّ في عيون من غاب عنهم اسمي

ورسمي

حذاءٌ الكلّ يرمقه

وأنا . .

أنا يا وعدُ حائر

في حضرة الضوء

تنحّى الظلامُ جانباً
كعهده منذ الولادة الأولى

صامتاً
ساكناً
شارداً
يأخذ التفاصيلَ منّي
ويزرع خلف الضوء
ظلّاً
يشبه ظلّي

يبتسم نصف ابتسامتي
يحزنُ ضعف ولادتي
قدري أن أولد أسيراً للعتمة
أحمل قلماً يشبه ظلّي

أرسمُ في الأفق قمراً

بلا لونٍ

بلا غيمٍ

بلا خطوطٍ

أرسمُ دائرةً تشبه الشّمس

لكنّها منطفئة

تشبه تفاصيل الحياة

لكنّها ساكنة

لعلّ النورَ يجري في شرايين العتمة

أو لعلّه تأخّر حتى موعد الولادة

الثّانية

يومٌ في الغربة

كآلام الفريسة و أوجاعها
غريبٌ يفترسه المنفى

يصحو على شمسٍ
سقط الظلُّ عليها

كيوم غيمٍ توارتْ وراءه تتعرّى
الاشجارُ تغنّي وحدها

الطّريقُ إلى الزّمن مزدحمٌ بالآهات
والأشواقُ جفّتْ مآقيها

الذّاكرةُ تبكي . . تبكي ساكنيها
كلُّ الأشياء غريبةٌ
حتى الوقتُ يغرقُ بالدمع

يغرقُ في البحر حافياً
ولا يبتلُّ

شوارعٌ لا يعرفها
تتكلّمُ ساكنةً
ويرّد بسكونه عليها

خاضعٌ كالعبث
ينادي رواجف صدره
لعلّ بالمناداة يسمعه الصدى

لعلّ بالمناداة يبقى حيّاً
فما انتهى

يا قلبي الذي وقع هناك
آتني بمفردةٍ
آتني بأغنيةٍ

اللّيلُ مظلمٌ محمومٌ هنا

وحنيني يترشرشُ دماً

آتني الآن . . الآن

إلى حيث كانتِ الشوارعُ تعرفني

إلى حيث كنت في زمنٍ

أنا . . أنا

ثمّ إذا بكى

تجده لا ينفّكُ من البكاء

صورةٌ كاملةٌ من دموعٍ

وحزنٍ

ثمّ شقاء

يا لهذا الحزنِ ساعةً يكبر فينا

ولا يصغر

يلبسُ الحداد على أفراحنا

ويرقصُ بالعزاء

بلا ريبٍ يمضي

بلا ظلٍّ يمشي على الرمضاء

لا قيمة للأشياء

والقلب من مطلعٍ إلى مطلعٍ

بلا وزنٍ . .

ولا قياسٍ . .

بلا غناء . .

بل بكاءٌ . . ثمّ بكاء

عشرونَ ضحواً مرَّ

والطّريقُ الأخضرُ إلى يَبَسٍ

ثمّ انتهاء

أيُّ فرحٍ يحوّل الشّعاع إلى ظلّ ؟

والبكاءَ إلى غناء

والشقاءَ إلى هناء

وفي القلب غراسُ آلامٍ

تنمو بين الخنوع

والبقاء

تنضجُ أحزاناً

وضراء

تنضجُ داءً . . ثمّ بكاء

أنا والسكون

منفردٌّ كوتر كمان أحاديّ
أُعندل لحن وحدتي

على نمطٍ ثابتٍ
أراقبُ انكساري
وانقلاب روزنامة التاريخ

وردةٌ حمراءُ ذابلةٌ تنتظرني
سِنَةُ نومٍ
وإغفاءةٌ خفيفة

معزوفةُ الأشباح تراقص السكون
ويراقصني الجمود

بلا ضجيجٍ

بلا ضوءٍ يأتي من بعيد

أحلامي تمضي وحيدةً

بلا جلجلة

خمودٌ . . وسطوع

رضوخٌ . . وامتناع

وحدي أُنظمُ أشيائي المبعثرة

وحدي أصارعُ ذئاب الغفلة

أجتازُ نفق الكوابيس بلا أصدقاء

أوزعُ الورود تحت حراسة الضوء

لحظة تلو لحظة

يشرقُ الأمل

وينتهي العزف الجنونيّ

وينتهي عزف الوداع إلى إغفاءةٍ جديدة

ربّما تكون الأخيرة

وحدي أصعد منبر النور

على أصوات العنادل

ومعزوفة الأمنيات

وجرس التاريخ

أمنيات معلّقة

قدد يخرج علينا حلمنا الورديُّ
معاتباً

قد يخرج علينا يفتّشُ عن ألوانه
الزّاهية

فوق كلّ شعاعٍ توقيعُ أملٍ تأخّر
لكنّه لم يمتْ

أفَلَ في السحب الدّاكنة
لكن محالٌ أن يبرقَ بلا إشراقةٍ
ناصعة

كلّ الأمنيات مؤجّلة إلى شروقٍ
أكثر نضارة

ثوبُ طفلةٍ ما زال معلّقاً
خلف أوّل سطوع
طفلٌ يفصله عن حلمه بلّور واجهات
المحالّ المزيّنة

أملٌ مكبلٌ يراقب من بعيد
العمرُ يهرول وراء أمنية
وما زلنا ننتظر

وحلمنا ما زال يحلّ وثاقه
ليشرقَ بلونٍ جديد

لونٌ أشيبُ أجهده الوثاق
والمسير

قد نراه

ولا يرانا

قد تختلف المقاسات

تتغيّر الأمكنة

وكذا تتغيّر الأمنيات

نسيرُ

ونسير

نحلمُ

ونموت

لكن خلف كلّ ستار لنا أمنية

عزاء

اهتفْ في ركنك المنسيّ

واستشرقِ الضوء

كأنّك في عش السّحاب

وحدكَ من ينتظره

ولا يسمعك

ترك الحنين يهاجر إليه

أنتَ وحدكَ ضوء الذكريات

أنتَ وحدكَ نور العمر

أنتَ وحدكَ وطنُ السنين

حلّق بالأفق البعيد

لقد خلعتكَ الحياةُ مرتين :

مرّةً يوم بكيت الغياب

ومرّةً يوم أبكاك الرحيل

لهفي لذكراك ميراث مودّة

فيها معنىً من معاني المروءة

فيها عزائي لرحيك

فيها حاضري الذي مات

فيها أنت

فيها روحكَ التي تطلعُ كلّ يوم

كما يطلع النّهار

ضوءٌ أحمر

استغرقَ في نومه يتمتم كلامي بصمتٍ قاتم
موحشٍ سيّءِ الظنَّ

يرسم ملامح قلبي الحزين
يسردُ التاريخ على نسق شعر

يختلط فيه الحبّ والألم
ليمطرا مطر الوجع

أو ربّما مطر الموت
لم يبقَ للسلوان مطارح
يرتمي العشق فيه

هو سباتٌ . . هو هجوعٌ

لا أدري

ربّما هو شعاع روح تراءى في عينيها

يسطع من سحابة دامعة

تشبه الخمر

تشبه نجماً بعيداً

أراه ساطعاً . . لا أدري

أهو ضوءٌ أحمر ؟

أم حنين دمٍ في قلبي يحنُّ إليها ؟

اغضبْ

اغضبْ لأجله

ما وسعكَ من الغضب

حريقٌ في البرق

صواعقٌ في الرعد

مطرٌ .. مطر

وطنٌ معشوقُ البشر

معشوقُ الطير . . معشوقُ الشجر

اسمه كتناسق الوزن مع الطرب

اسمه في صفحات التاريخ

إرثُ مجدٍ يضاعف الحبّ

بين الجدّ والولد

لو سقطت فيه دمعةٌ

بكتِ السماء

وطافتِ الأرض من المهد إلى اللحد

مجانسُ الحسن فيه دمشق

والباقيات تتلألأ في العنق

والقلب والجسد

حروف مبلّلة

لو رأيتني كيف أزرعُ تنهّداتي
بين الحرف والحرف

لغةٌ منّي
ثمّ منكِ

إليكِ ثمّ إليّ

كمرآة تعكسُ لون أشواقي
ولهفتي
من حبري الذي يسيلُ من دمعي
من ألم الحبّ في كلماتي

أريدُ التعبير عن نفسي

عن حالتي النازلةِ تحت السطر

الهالكةِ إلى جنوني

أيّتها العذبةُ الباردةُ الممتلئةُ نبضاً

ما زدتني إلّا اشتعالاً

ما زدتني إلّا حبّاً

وجنوناً

اكتبيني من خلف قصركِ المقفل

وافتحي حركات الحروفِ بمفتاح حبّي

امزجي لام القمر

بلام الشّمس

فكلّ الكواكب يفتحها الليل

ووحده حبّكِ يفتحُ حروفي

ويوقفُ تنهّداتي

ماذا لو تنتظر

لا فرقَ بين صبحٍ ومساء
المتعبون وحدهم من يسمعون صخب الذّكريات
وانبعاث أصوات المعربدين على مدارج
الطّرقات

الوقت يدور في حلقة مفرغة
حارسُ الليل واقفٌ بعصاه
يمنع مرور المتسكّعين

اليأس لم يكن ولّاداً للأمل
ما معنى أن تكون بلا حركةٍ
شاخصٌ وجهكَ إلى السّماء
تنتظر

لو يعود من تركك مهاناً

وأنت تنتظر

ماذا لو يأتيكَ القمر بعيون الجميلات

و أنت تنتظر

و يعاتب زمنكَ المستباح

خارج الطقس أنت ..

خارج الحلم أنت ..

تودّع أحلامكَ مذعوراً

وتنتظر

ماذا لو يأتيكَ القمر بعيون

الجميلات

أو يعيدكَ الزّمن حمّالاً

للخيبات

تلملم خيباتكَ المبعثرة

وتجلس مكانكَ من الصّباح إلى المساء

ثمّ تنتظر

لا تذهبي

لو ذهب ربيعي

فسأقضي شتائي

وأنتظر

ما أشبه اليومَ بالأمس

أنتِ تمتنعين

وأنا أبتعد

شوقي إليكِ يضاعف قوّتي

وسموّي وكبريائي

لكن ..

لا ألتمسُ عذراً

ولا أقبلُ لكِ اعتذاراً

إن امتنعتِ . .

سأنفقُ عاطفة حبّي

وأبتاعُ قلباً جديداً

لا يقلقُ كثيراً

لا ينشغلُ طويلاً

ولا يتأثّرُ بالنكبات

أبتاعه بتذكرة قيثارةٍ رنَّانة

أحملها بيدي

وأطوف بها البلدان

أفعلُ

كما فعل شعراء اليونان

والرومان

أغنّي . . أعزفُ للعيون

للفصول . . لامرأةٍ

تعرفُ أنّ الامتناع في الحبّ حرام

خاب ظنّي

كنتُ أظنُّ

فلم يصب ظنّي

كنتُ أعتقدُ

فارتدَّ إليّ اعتقادي

كنتُ أرجو

فخبتُ

وخاب رجائي

من منكم يحبّني

وأنا غارقٌ في بؤسي

وشقائي

من منكم يعطفُ عليّ

وعلى غربة نفسي

فيؤنسني

ويؤنس وحشتي

إنّي ممتلئٌ بالجروح

ممتلئٌ بالقيوح

ممتلئٌ بأحلام واهية

حلمٌ واحد فقط صّدقته

وصدَقني

غامرتُ به

واعتقدتُ أنّكم تحبونني

ونسيتُ أنّي مفلسٌ من الحبّ

مفلسٌ من الخداع

مفلسٌ من كلّ شيء

فالسّعادة لكم

والظلام باقٍ لي وحدي

هذا قلبي

كان الودُّ بيني وبينكَ موصولاً

ألاقيه في حياتي حظّاً

وبين جوانحي حبّاً

وتمجيداً

كان الحزنُ يتسرّبُ إلى قلبينا

قليلاً . . قليلاً

فنطرده طرداً قبيحاً

خارج قلبينا

خارج أسوار الحديقة

خارج أزمنة السنة

وفصولها

حتّى يختفي شيئاً . . فشيئاً

ماذا حلَّ بكَ من بعدي

نفسي التي تسأل !

أم أنا من يسأل نفسي

أقفُ أمام المرآة مذهولاً

ولا أقول شيئاً

أسمعُ خفق قلبي

أظنّه خفق الباب ورائي

أراه لا يتحرّك

ولا ينبضُ له عرقٌ

ولا تنبعث له جارحة

أقولُ لنفسي :

هذا قلبي

لا شكَ أنّه قلبي

أنا أعرفه جيداً

يشبه كلّ المتحركات الحزينة

لكنه غالباً ما يتجاهلني

ثمّ يقفُ هكذا

كما أنا أقفُ الآن أمام مرآتي

ولا أقول شيئاً

هاجسٌ

بلا غطاءٍ ولا دثار
في ممرِّ الذكريات الجارية
وقفتُ ساعةً أنتظرها

لم أكن أتوقّعُ أن أراها
لكنّي انتظرتها

كشبحٍ يهيمُ في ظلام الليل
يعانقُ الهواء
ويضمُّه بين ذراعيه
كلّ شيءٍ على ما هو عليه

في مخدع الذاكرة كلماتٌ كثيرة

ألمَّت بجميع ما فيها

من حوادث الدهر

خيرِه وشرِّه

بؤسِه و رغده

في الشعر يا سادة تطيرُ الكلمات متلهّفةً

من رقّة الحبّ

ولهيب الشّوق

وغرام هواها

مضى الوقتُ

وما زلتُ أنتظرها

تساقطتْ أوراقٌ

وطارتْ في مهبِّ الريح أوراقٌ

وما زالت ذاكرتي تطيرُ في سمائها

تقيّدُ عواطفي بها

وجدي . .

ولهي . .

وهيامي . .

يطفئني القربُ

يضعفني الشّوقُ

وتعيدني الذاكرةُ إليه

مضى الوقتُ

وأعلمُ أنّها لن تأتي

لكنّي ما زلتُ أنتظرها

وأطيرُ شوقاً إليها

الورقةُ الأخيرة

أوراقنا المبعثرةُ دوّنت كلّ شيء :

آمالنا والحقيقة

ذكرياتنا الطائرةُ الشَّاردة

أحلامنا المتساقطة

واحدة تلو أخرى

خيالاتنا الشقيّةُ تلاحقنا في كلّ مكان

نبتعدُ عنها

فنشعرُ برعدةٍ شديدة

نستسلمُ لها فنرتعد أكثر

نقف مكاننا فلا نتماسك

شيءٌ ما يغلي في عروقنا

نهذي ونحن نضربُ ذهاباً

وإياباً

نغامرُ فلا نظفرُ إلّا بالبلوى

أيّها الليل والنهار

أيّها اليوم الذي يموجُ باللهب

أيّها النومُ الهائمُ على وجوه المعذبين

أيّها التاريخُ . . أيّتها الحياة

أليس اللصوصُ والمجرمون من داسوا بأقدامهم أحلامَنا ؟

انتهتِ الصفحةُ الأخيرة

لم تعدِ السطورُ تكفي لحلم آخر

طار منها ما طار

سقط منها ما سقط

لم يبقَ إلّا وجه البؤس

والشقاء

ألوانُ الأحزان كلّها متشابهة

مذاقُ الدموع مرٌّ مرير

انتهتِ الصفحةُ الأخيرة

ودوتْ صيحةٌ عظيمة

ثمّ أطرقتْ حزينة

لا يعلمُ إلّا الله

متى

متى تظهر الحقيقة

لأنّي أحبّكِ

ولأنّي أحبّكِ . .

آلمتني دمعتكِ المتألّمة

وأنا أرى روحي تطير إلى أبعد مدى

أمدُّ بصري حتّى يقع في المنتهى

ولأنّي أحبّكِ . .

ضربتُ بيني

وبين غضبي جداراً

باطنه انتقامٌ وعذاب

ولأنّي أحبّكِ . .

قاومتُ

وأخلصتُ

أحبّبتُ

ووثقتُ

لا سلم ولا سلام

قبل أن أدقّ مسمار الأمل في الخيبة

والحسرة

ونتعانق . .

نتعانقُ كعاشقين ممتلئين

بالشّوق

ممتلئين من كلّ شيء

ومن لا شيء

كلانا يا حبيبتي المعنى الأكبر للحياة

كلانا المعنى الحقيقي للحبّ

كلّ منا غائبٌ وراء نفسه

يريد أن يرضيها بطريقته

تعالي . . تعالي

نرتفع مع كلّ شيء يرفُّ

ويزهو

وهل غير الحبّ يا حبيبتي

ينادي روحه ونفسه ؟

مرآة ذاكرة

يا مرآة الماضي البعيد

اجنحي . . توهي

شرّقي أو غرّبي

لا تعكسي ظلّي

لا تعيدي تاريخي المنسيّ في ذاكرتي

لم تعد نفسي قادرة على حفظ الألقاب

والتجارب

لم تعد نفسي تقاوم التيار

والموج . . والغيم الذي أثقلني

روحي الظمآنة ما تزال ضائعة

في مفازة جدباء

تموج فوق السراب

تتحرّك فوق الرمال الملتهبة بلون الدم

وكأنّي مصنوع لليأس والشقاء

لا مولود فرح

ولا رخاء

مكذوبٌ مفترى عليّ

مخدوعٌ أخلد من النظرة الأولى

كمن يرى في السراب حياة

أصرخ بأعلى صوتي

لا . . لا

ثمّ لا لحبّ تعكسه مرآة متوعّكة

يا حنين الهجر

الزم مضجعك

إنّ لهيب الحبّ ظلٌّ نكدٍ

يتلقّاه عاشقٌ مصنوع للتأوّه مثلي

جحيم الزفير

جحيم الشهيق

أرهقني

أرهق نفسي الظمآنة

من سطوة عذابي

ومن سهو ذاكرتي

شغف

أريد أن أراقبكِ

وأنتِ تقرئين رسالتي

أريد أن أعرف أين أكون

وأنا أرى نفسي المكتوبة

كيف تكون ؟

ربّما قلبي المسكين محكوم عليه بالأماني

أقول : ربّما

أو ربّما تعبتُ

وأثقل عليّ الحبّ

وأنا أكتب نفسي

وأبعثها إليكِ تخاطبكِ

ارحمي ذاهلاً من الهوى

نسي أنّكِ حاضرة معه في كلمة واحدة

ارحمي رغبة قلبي الوحيدة

وأمنيته المفردة

أشتهي أن تتحقّق

فكيف لي أن أنساكِ

وأنساها ؟

عتاب

كانت لي آمال كبار

وأمانٍ حسان

كانت نفسي مملوءة سروراً

ومشبعة بالحياة

حتّى أمسيتُ وأصبحتُ على حياة مظلمة في عيني

موحشة مقفرة

لا أشعر فيها بأيسرٍ

ولا بأسٍ

لا أسمع صوتاً

ولا حركة

كأنّي يا جليلتي جثة هامدة

ملقاة في قارعة الطّريق

بالله عليكِ نادِيني إليكِ

قفي أمامي

تأمليني بعينيكِ الجميلتين

أسمعيني صوتكِ العذب

عسى الحبّ ينفخ في قلبي

فيحيي نفسي الميّتة

وأعود للحياة من جديد

أنا وحظّي

لا بؤس . . ولا حظّ
ظلّي وأنا

كلانا يجري على وتيرة واحدة
لننسى

ننسى حقيقة الألم
في هنيهة من الزّمن
وموت السنين

لا شيء عارض عن الكسر
لا شيء يمنع الأشجار أن تراقص الخريف
انقطاع الحياة يأتي بطيئاً
ويرحل سريعاً

كذا حظّي ، وأنا

يسكتُ ، فأردُّ عليه بسكوتي

يصبرُ ، فأرضخُ له بخضوعي

وما أدري

أحاجتي للصبر

أم للسهو كما يسهو ظلّي ؟

في الخيال أقلّبُ عيني

أبحث عني ، فلا أراني

لا أرى إلّا شعلة تتوهّج

وروح حبّ تتحرّك في دمي

وطريقاً أخضر يمتدّ إلى ظلّي

وحظّي المستحي يدنو مني

ثّم يختفي

حنين

ليس لأنّكِ فاتنةٌ جميلةٌ

ولا لأنّكِ ملأتِ فضاء قلبي

فلم يبقَ بقية فيه لسواكِ

لا ليس لذلك أحببتكَ

بل لأنّي آثرتُ أن أخطو إليكِ

على هروبي

وفضّلتُ موتي على حياتي

فرجائي . . رجائي

إن وصل خطابي إليكِ

فاعلمي

أنّي قررتُ أن أقطع البحار

لأقضي بقيّة حبّي بين يديكِ

وأخلع مني غضبي

وهمومي

وأوجاعي التي أرهقتني

ونعيش زمناً جديداً

يسطع فيكِ أنتِ

ذكريات

كان هناك . .

ظلّ حقل زيتون

وظلّ ينبوع

وحقل ليمون

كان هناك ظّل لا أعرفه

يلوح من أوّل طلوع الفجر

إلى آخر غسق الليل

يشبه البحر

يشبه التاريخ

يشبه الريح

يشبه طائر الفينيق

لكنّه ظّل يحرّكه الضوء

وتخفيه العتمة

يحركه السكون

والذاكرة

محمولاً على عربة الهواء

ظّلٌ يشبه ظّلي

يشبه ظلال سنابل تتراقص

وبيادر قمح أشرقت تتلألأ

على قوافل من مرّوا من هنا

مصارحة

كتمتُ ما في نفسي
وحسبتُ أنّي أطفئ غضبي
بسكوتي

اعتصمتُ عن محادثتي
ومسامرتي

بقيتُ بلا صوتٍ
ولا همسٍ
لا أقرأ
ولا أكتبُ
فأبغضتني أشيائي

سجنتُ حالي عن نفسي
أزاولُ بصمتٍ أعمالي

أرتدي بصمتٍ لباسي
أغتابُ بصمتٍ نفسي

لا أسأمُ
ولا أملُّ

أعيشُ بين الرضا
وعذاب غضبي

شقاءٌ حبّبَ إليّ الموت
وبغّضَ إليّ وجه حياتي

أسمجُ كلّ شيء في نظري
وأراقبُ سحابة سوداء تدنو منّي

ورعشةً تتمشّى في أعضائي
تماسكتُ قليلاً
ما استطعتُ أن أقول شيئاً
فصرختُ ، وصرخ صمتي

ماذا لو أفشيتُ سري
وعدتُ مبرّاً من ذاكرتي
إلى نفسي

لماذا أنتِ

لماذا أنتِ ؟

لماذا وحدكِ من دون النساء

غيّرتِ هندسة حياتي

وإيقاع أيّامي

حسنكِ المبهجُ

سرٌّ من أسرار قلبي

من أسرار الكون

وأسرار روحي

إنّي في حبّكِ كناسكٍ متعبّد

أقرأ أفكاركِ

أقرأ نظراتكِ

وابتساماتِكِ

ورجفات الدلال على جسدكِ

أخرجيني من حيرتي

من اضطراب أشواقي

من رجّةٍ أمسكت عنّي زفراتي

يا باسمةً أمطرتني حبّاً

أمطرتني شوقاً

أمطرتني حنيناً

وأعادت اللهفة إلى قلبي

ما شككتُ أبداً

أنّ كلّ نظرة منّي إليكِ

يتبعها خفقةٌ ورجفةٌ

تزهر من جديد حياتي

لماذا أنتِ . . لماذا أنتِ

قطار الزّمن

أخبرتني الأيّام
عمّا لا يعجبها منّي

لم أسألْها
وأخفيتُ انزعاجي

ربّما كنت مخطئاً
أو ربّما كنت مسرفاً
في وهمي

حزنتُ كثيراً
وأنا أقرأ أخطائي

فسألتها :

لمَ تمسحين بيديكِ دموعي ؟

وكنت أسخرُ منكِ

وألهو غارقاً بمتاعي !

قالت :

كنتُ أعلمُ أنّكَ ستحتاج يدي

وأدركتُ الآن

أيّ عاطفة قوّية حرّكها خطابي

أردتُ أن أنجيكَ

وأطرح معطفي

على حزنكَ العاري

فأتيتني خائباً

عاثِراً

تعساً إلى مسرحي

أتأمّلكَ كصورةٍ بغير ألوانٍ

منكسرَ الظّل

تغالطُ نفسَكَ

كمرتكبٍ للذنب جاني

أخشى عليكَ أن تأخذ ما تريده

وإذا طلبتكَ إليّ

لا تستطيع أن تعطيني

نظرتُ إلى ظلّي

وقلتُ :

منذ زمن طويلٍ

أرغبُ أن أصحو من سباتي

لعلّ الذنب ذنبي

ومن ضيق صدري

تعذّر جلوسي

أين كنت ؟

هل حقاً أنتَ تفهمني
أم أنّكَ دائم القلق
تبحثُ عن أسلوبي
وأسلوب حياتي ؟

أين كنت ؟
أيّام أغرقتني الأحزان
وتفاقمت مصائبي
واستفحلت آلامي

أين كنت ؟
حين كتبتُ
وقرأتَ كلّ شيء

وأحطتُ بمنتوج عذاباتي
وما سوّدتُ به وجه أوراقي

لعلّ ما قرأته عنّي نكبةٌ
أو خيبةٌ

أو ربّما خديعةٌ
انتهت إلى تمزيقي قبل أن تراني

بعيداً عن السراب
بعيداً عن المآسي

لو وضعت يدك على مفاتيح آمالي
ومددتَ بصركَ المنشود
سترى نجماً مضيئاً في سمائي
يلمعُ فوق متن مفرداتي

فلا يخدعنّكَ الوعر المغلّف بالضباب

ثقتي بنفسي أنجبت أملي

وأثمرت بعضاً من نجاحاتي

في المنعطف

هاتوا معاطفكم ، الصقيعُ قادمٌ
على عجل

ما زال في السّماء لمّة دفء
لم تزل

أخفوا أزهاركم المضيئة ، فالإعصار
يغرقُ الأجمل

زهراتُ النجوم توارت هناك خلف
الغيوم تتهلّل

والطّريقُ إلى الصحو عسيرٌ تلفّه
مغازل صلصل

لا شيء يستدعي أن نضمّد جراح
زهرة تتحلحل

على شواطئ العواصف تتصاعد
الأمواج كالشلّال

وتُرمى أحلامنا بين قيلٍ وكذلك
قال وقال

وخلف بريق العيون جلس الخوف
ينتظر الأمل
السكون والأماني ، الصّمتُ
وضجيجنا تخلخل

في كلّ ذكرى تجيشُ رغباتنا ، فوراء
كلّ قيظٍ نجم سهيل

ونحن باقون إلى أن يهدأ الإعصار

ونجفّف البلل

نعاود لنبش رغباتنا من قلب الغد

على مهل

فيا حبّذا لو أنصتنا قليلاً

لعزف الريح ، وتغريد البلابل

ورتّلنا مع السائرين أغنية العنادل

عسى خوفنا يترجّل

فنجان قهوتي

هدأتِ الريحُ
واستقرّ الصحو في قرارة السّماء

خفقَ الحمام الأبيض
وتحرّكَ نحو الهدوء
ثمّ هبط

أطلّ القمر من ثقوب السحاب
الممزّق

عصفوران تحت جناح السكون مغتبطين يحلمان
وصوتٌ في أذني يهمسُ خافتاً
يحملُ الكلام على الكلام

أدرتُ وجهي ، ونظرت

أرحتُ كفي ، ومسحت

كأنّي للتوّ عدتُ من أسفاري

متعباً

أرى صورة ذاكرتي المنعكسة بالماء الصافي

أرى شمساً . .

أرى قمراً . .

أرى بحراً . .

أرى جبلاً . .

أرى كلّ الأشياء الجميلة

أرى تاريخاً يطوف حولي

عَبَرَ آلاف السنين إلى عمري

ثمّ خايلتِ السّماء فجأة

ومعها خايل أملي

حتّى لا أضجر

ويطير عقلي

فما أراني أفكرُ بشيء آخر

يفيض عليّ بالسكون

كما يفيضُ عليّ بالبشاشة

فنجان قهوتي

يا سيّدة العشق

أفرغتِ في قلبي عصير الحبّ
وخطفتِ من نفسكِ إلى نفسي
كلّ معاني اللوعة

تركتني تحت ظلالكِ
أروح . . وأجيء

معي حماقتي
معي رجائي وجنوني

اخطي خطوة نحوي
فأنا عاشق لم يعد يدري
أمجنون هو أم أحمق ؟

يا سيّدة العشق :

احمليني تحت جناحيكِ

وطيري

ولا تخرجيني أبداً من قلبكِ

وتتركيني

فلا مكان لي

تسكن فيه رغبتي

وكلّ أشواقي نافذة على قلبي

إليكِ

إنّي مسافر في مرآة محطّمة

أبحث عني فأراكِ

أبحث عنكِ فأراني فيكِ

كأنّي يا سيّدتي

محكوم عليّ بالمؤبدّ

محكوم عليّ بالأماني الشّاقّة

إنْ من قلبكِ أخرجتني

يا أملي الضئيل

لا تتركني في القاع كثمالة الكأس
أرغو في قعر أحزاني

لا توهمني أنّ الذكرى جميلة
والألم مزّق كلّ ذكرياتي

عاملني كما يعامل الطبيب مريضه
ولا تتركني لرحمة أوجاعي

تذكّرتُ يوم ناديتكَ
ولم تلبِّ ندائي
غضبتُ وحزنتُ
فانهارت كلّ أمنياتي

كأنّي بنيتها من الرمال

لقد تغيّرتُ كثيراً

وتنازلتُ عن آمالي

وأحلامي

أرغمتني الحياة أن أعيش بلا انتظار

بلا أمل لا يسمع صوت آهاتي

وحسراتي

تدفعني الحياة إلى ما أريد

تقهرني قهراً من غير رضى

لا مقاومة

ولا أمل غاب

ليشرق من جديد

يا أملي الضئيل

أشرق في نفسي

ولو بقليل

لا تتركني في القاع

أصغِ إلى صوت أحزاني

فلا أسمع غير قرقعة آهاتي

على آلامي

مساء الخير

يا حاضرةً في قلبي عندما تموت كلماتي المكتوبة

يا أملاً يتحرّك دائماً في آخر تنهيدة

مساء الخير

يا أسرار الكلمات

وبعض الممكنات في الوجود

والموجودات

في الحبّ . . والإخلاص

في الإعزاز . . والإخاء

في التعلّق . . والعشق

في الغرام . . والشغف

في الهوى . . والهيام

مساء الخير

يا حاشية الحبّ المبرّأة من ذنوب الزمان

وغدره

من وقائع الجفاء

وأخباره

من امتعاضه . . وانفعاله

من حنقه . . وحقده

فلا تمسكي عليّ فاصلة

ولا نقطة

فتحة . . ولا ضمّة

لا مفعولاً . . ولا فاعلاً

لا موصولة . . ولا مقطوعة

لا تنويناً . . ولا سكوناً

دعينا نمتدُّ

دعينا نمتدُّ على حركة قلبينا

إلى اللا نهاية

أمنية

ليتنا كالعصافير

ننامُ على الأغصان

ونحن غارقون في الحلم

يغزونا الليل حتّى لا نطير

قلوبنا في لهفة

تهزّنا نشوة

ومضة نور سماويّ

تسطع فينا

تخطف الجراح من صدورنا

تبقينا بلا كلام

بلا تغريد

بلا ضجيج

حتّى لا نطير

أوّل تباشير الكلام

أقول : أحبّكِ

يا عصفورة تحمل نغمة البلابل

كلّما غبتِ عن ألحاظي

كالعصافير أطير

أبحثُ عن مأوى

أطوي إليه جناحي

وأحلم أنّ الليل ينادينا

كلانا في الحلم هائم

والليل يحرسنا كي لا نطير

وحيداً بلا ظلّ

ذهبتُ في ضحو الشّمس إلى ظلّي أحيّيه
فلما جئته استخفَّ بي

واختفى وراء السراب في قاصية بعيدة
سرتُ وحيداً بلا ظلّ حزيناً
أبحثُ عن ظلّ من الشجر أقاضيه

هناك وجدتُ من يعرفني
وجدتُ أثراً لظلّ تركه قلبي من سنين
نظر إليّ
وهو يتنهّدُ على غصن منحن إلى نفسه
خوفاً من لعنة الهجر
واجتياح الريح لصوت الحنين

قلتُ له :

إنّي أعلم أنّ الغيم أثقلني

وأعلمُ أنّ الهجر أدمى قلبي

والألم أكل كلّ موضع فيّ

ليصل إلى ظلّي

ما أسرع ما يرفُّ في ذاكرتي الآن

ظلٌّ تركني

وظلٌّ انحنى وما زال ينتظرني

حملتُ نفسي على ظاهرها

وعدتُ أدراجي بلا ظلّ

أكذّبُ ظلّي

فيكذّبني غيظي

وهكذا انتهى الأمر بي

وحيداً بلا ظلّ يتناغم مع ظلّي

أنا عاشقٌ

أنا عاشقٌ أضمُّ الحبّ في مهجتي
أهربُ إلى الليل لأكون معه
كمستعمرة تكون لي وحدي

أنواري وسحائبي
قمري وشمسي
برقي وسطوعي

أستنزلُ الشّوق
وأداعبُ الحبّ بمسحة الدلال

أتبوّأُ عرش الهوى
أمسكُ في زفراتي
وأختمها

أسمعُ نبض قلبي يرتجّ

كارتجاج الأفلاك في مداراتي

يفيضُ الحبّ من وراء حدودي

فيتسرّب إلى روحي

وأشواقي

أنا عاشقٌ لا يحزن

ولا يفرح إلّا بمقدار يملأ الوجود

بكِ وحدكِ أكتفي بحزني

وفرحي

ومنكِ وحدكِ أستضيء

بقبسٍ يشعل أشواقي

وبعشقٍ يعيدُ الحركة إلى مداراتي

المساء ضيوف

هذا المساء لم يكن من شيء
أمسى شرّاً على مائدة الذكريات
كلّ الوافدين معه من أسباب الشقاء

على المساء أن ينصرف باكراً
النوافذ مفتوحة
وفضاء الذاكرة مفتوح على مصراعيه
يلعب فيه الهواء
والأحزان تتراقص في العراء

كلّ الهمسات صارت جدليّة
تخاف جحافل المساء
وتفزع في ركن منسيّ
يشبه لون السحاب

انصرفتُ . . سئمتُ

خرجتُ من جلدي

كلّ ألواني صارت رماديّة

ونوافذي بقيت مفتوحة

ولم ينصرف المساء

ذكريات عابرة

نهضتُ ومضيتُ إلى سبيلي
غير فرحٍ ولا مغتبطٍ

أقتفي آثار الذكريات العابرة
أسمع أصوات قهقهة
من جدار الأزمنة الأولى

حكايا الزمان
وخرافات الأساطير العائمة
فوق الجدار
وفوق الأقواس الناعمة

في الحزن يموت الفرح
وتختفي الوجوه الضاحكة

في الحزن نسير بلا إقرار

ولا قرين

نحو الشّمس . . نحو المغيب

لا مرشد

ولا رشيد

نتبعثر في خطانا

نغنّي بأصوات مرتفعة

أغنية الخوف العابس على أرواحنا

نذهبُ ونجيءُ

كالرياح المزدحمة

مسكونون نحن بالأشجان

مسكونون نحن بالأحزان

نحلمُ وعيوننا ناعسة

أين الطّريق إلى الذكريات ؟!

أين الرجوع إلى الأيّام العابرة ؟!

اكتب يا قلمي

انقبضتْ نفسي

وقامت قيامة أفكاري

امتلأتْ شرايين قلمي عويلاً

وسال حبري حزناً شديداً

المسيرُ إلى الكلمات مشقّة وعناء

والرجوع إلى الوراء استصغارٌ وازدراء

سافرتُ حيث أردت

أقلّب الحروف حيث أردت

في يدي قلمٌ يقسو عليّ

لكنه . .

يحيا بالأمل

ولا يموت باليأس

مساحاتٌ من الأفكار راودتني

وعَدتُ نفسي أن أحرّرها

من كمّاشة الهموم

والأحزان

كتبتُ : مرحى للحلم

مرحى للكتاب . . للكلمات

لم أدرِ ماذا فعلت

غير أنّي اجترمتُ كلّ هذه الصرخات

ساكناً . . هادئاً

فجنّ جنون قلمي

وثار ثورة الموج الهائج

قلتُ يا نفسي :

لنا أملٌ نحيا به

وسعادة لأجلها نهتدي

فمرحى لقلمٍ يخفق له قلبي

ويتحرّكُ في خاطري

وداعاً للحزن

وداعاً للبكاء

اكتب يا قلمي ما تشاء

﴿ الفهرس ﴾

حائرٌ يا وعد ـــــــــــــــــــــ ص ٣

في حضرة الضوء ـــــــــــــــــــــ ص٥

يوم في الغربة ـــــــــــــــــــــ ص٧

ثمّ إذا بكى ـــــــــــــــــــــ ص ١١

أنا والسكون ـــــــــــــــــــــ ص١٥

أمنياتٌ معلّقة ـــــــــــــــــــــ ص١٩

عزاء ـــــــــــــــــــــ ص٢٣

ضوء أحمر ـــــــــــــــــــــ ص ٢٥

اغضب ـــــــــــــــــــــ ص ٢٧

حروف مبلّلة ـــــــــــــــــــــ ص ٢٩

ماذا لو ننتظر ـــــــــــــــــــــ ص ٣١

لا تذهبي ـــــــــــــــــــــ ص٣٥

خاب ظنّي ـــــــــــــــــــــ ص ٣٩

هذا قلبي ـــــــــــــــــــــ ص٤٣

هاجس ـــــــــــــــــــــ ص٤٧

الورقة الأخيرة ـــــــــــــــــــــــ ص٥١
لأنّني أحبّكِ ـــــــــــــــــــــــــــ ص ٥٥
مرآة ذاكرة ـــــــــــــــــــــــــــــص ٥٩
شغف ـــــــــــــــــــــــــــــــــص ٦٣
عتاب ـــــــــــــــــــــــــــــــــ ص ٦٥
أنا وحظّي ـــــــــــــــــــــــــــــص ٦٧
حنين ـــــــــــــــــــــــــــــــــص ٧١
ذكريات ـــــــــــــــــــــــــــــــص ٧٣
مصارحة ـــــــــــــــــــــــــــــص ٧٥
لماذا أنتِ ـــــــــــــــــــــــــــــص ٧٩
قطار الزمن ـــــــــــــــــــــــــــص ٨١
أين كنت ؟ ـــــــــــــــــــــــــــص ٨٥
في المنعطف ـــــــــــــــــــــــــص ٨٩
فنجان قهوتي ـــــــــــــــــــــــــص ٩٣
يا سيّدة العشق ـــــــــــــــــــــــص ٩٧
يا أملي الضئيل ـــــــــــــــــــــــص ٩٩
مساء الخير ـــــــــــــــــــــــــــص ١٠١
أمنية ـــــــــــــــــــــــــــــــــص ١٠٥

وحيداً بلا ظلّ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ص ١٠٧
أنا عاشقٌ ـــص ١١١
ضيوف المساء ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــص ١١٣
ذكريات عابرة ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــص ١١٥
اكتب يا قلمي ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــص ١١٩